



دور السارد في تشكيل بنية الخطاب السردي

The Narrator's Role in Shaping the Structure of Narrative Discourse

قمر لور¹ معمر حجيج²

مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر

¹ جامعة باتنة - 1. (الجزائر)، gamra.laouar@univ-batna.dz

² جامعة باتنة - 1. (الجزائر)، maahadjij@yahoo.fr

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى استعراض دور السارد في بناء الخطاب السردي، كونه أحد أهم مكونات البناء الفني للسرد، فهو الجسر الذي يربط بين العالم المتخيل والقارئ، وذلك من خلال إبراز علاقته بمختلف عناصر الخطاب السردي، وقد توصل البحث إلى أن السارد ليس مجرد ناقل للمادة القصصية بل هو عنصر فاعل في البنية السردية، بحيث يؤثر في مختلف مكونات وتقنيات السرد التي تصطبغ برؤيته وتخضع إلى سلطته، لذا ركّز هذا البحث على مفهوم السارد وأنواعه ودوره في بناء الخطاب السردي. وعليه جاءت إشكالية البحث تتمحور حول التساؤلات التالية: كيف يساهم السارد في تشكيل الخطاب السردي على الرغم من أنه عنصر من عناصره؟ وكيف تفرض تقنية السارد سيطرتها على الخطاب السردي؟

كلمات مفتاحية: السارد؛ دوره؛ تشكيل؛ بنية؛ خطاب سردي

Summary:

This research strives to demonstrate the narrator's role in constructing the narrative discourse, as it is considered as an essential component of the artistic construction of the narration. It is also regarded as the bridge that connects both the reader and the fictional world through highlighting its relationship with the different elements of the narrative discourse.

Therefore, this study has revealed that the narrator is not merely a storyteller of the material; rather, he plays an effective role in shaping the narrative structure, aspects, and techniques, which are imbued with his own vision and subjected to his authority. Hence, this research emphasizes the narrator's concept, along with its types and roles regarding the narrative discourse. Accordingly, the research problem addresses the following questions: how does the narrator contribute to the construction of the narrative discourse despite being one of its elements? How do the narrator's techniques govern the narrative discourse?

Keywords: Narrator; narrator's role; shaping; structure; narrative discourse

1. مقدمة:

يتسم الخطاب السردي ببنية متميزة تتظاهر فيها العديد من العناصر والمكونات، ومن أبرزها السارد/ الراوي الذي يشكل بوابة الخطاب السردي، حيث يتسع دوره مع الخطابات السردية المعاصرة التي منحتة دورا كبيرا في البنية السردية، فمهمته لا تقتصر على مجرد نقل وسرد القصة، بل يتفرّد عن غيره من المكونات السردية بدوره الفعّال على مستوى بنية الخطاب السردي، إذ تربطه علاقات مع مختلف التقنيات السردية التي يساهم ويؤثر في تشكيلها بطريقة أو بأخرى، فهو تقنية تهيم على الخطاب السردي، وتلقي بضلالها على مختلف عناصره، ومن هنا تأتي أهمية دراسة دور السارد في بناء الخطاب السردي، ومن أبرز التساؤلات التي تطرح نفسها في هذا الشأن كيف يساهم السارد في تشكيل الخطاب السردي على الرغم من أنه عنصر من عناصره؟ وبتعبير آخر كيف تفرض هذه التقنية سيطرتها على الخطاب السردي؟

وسعيا للإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة سنبحث في علاقة السارد بتقنيات البنية السردية، باعتماد المنهج الوصفي والتحليلي، ومن ثم تقتضي الدراسة التركيز على مفهوم السارد، أنواعه، ودوره في بناء الخطاب السردي.

2. مفهوم السارد

أخذ السارد/ الراوي قسطا وافرا من اهتمام الدراسات النقدية بوصفه آلية سردية لدوره المحوري في عملية السرد وعلاقاته المتنوعة والمتفرعة والمترابطة سواء على مستوى البنية السردية أو في علاقته مع المؤلف الواقعي والقارئ، وقد تعددت وتباينت التوجهات والتصورات حول ماهية السارد، ممّا أدى إلى تنوع تعريفاته.

جاء في كتاب "معجم السرديات" أنّ السارد «هو الواسطة بين العالم الممثل والقارئ وبين القارئ والمؤلف الواقعي. فهو العون السردى الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية أساساً. ويُهتدى إليه بالإجابة عن السؤال من يتكلم؟ ويمكن رسم صورته من خلال ما يتركه، ضرورة، من بصمات في الخطاب القصصي»¹.

نفهم من هذا أنّ السارد هو صلة الوصل بين العالم المتخيل والعالم الواقعي، فهو الأداة التي يستند إليها الكاتب في سرد ونقل أحداث العالم المتخيل، وبتعبير آخر هو الصوت السردى الذي يُبلّغ القصة إلى القارئ، ويمكن أنّ نستدل عليه من خلال ما يخلفه من قرائن وعلامات.

ويذهب "عبد الله إبراهيم" إلى أنّ السارد هو «الصوت غير المسموع الذي يقوم بتفصيل مادة الرواية إلى الملتقى، وربما يكون الشخص الموصوف مظهرًا مخبرًا داخل النص، ممن يتولى مهمة الادلاء بكامل تفاصيل عالم الرواية...وقد يكون الراوي إحدى شخصيات الرواية فيقدم ما يشاهد أمامه من أحداث، وما يشارك في صنعه منها. وقد يكون صوتًا خفياً غير موصوف ولا مجسد مادياً في عالم الرواية، لكنه يقدم الأحداث دون أن تعرف علاقته بها»².

ونستشف مما سبق أنّ السارد قد يكون شخصية ممثلة في القصة، فتنتقل ما تراه، وتسمعه، أو ما تقوله هي وتقوم به، أو يكون غير ممثلاً في القصة أي كيانه خارجها لا تُدرك علاقته بما ينقل من أخبار ومعلومات إلى الملتقى.

كما أنّ السارد «هو الذي يرتب العرض، وهو من يقرر ما الذي يجب أن يقال، وكيف يجب أن يقال (خصوصاً من أي وجهة نظر، وبأي تسلسل)، وما الذي يجب أن يترك. وفي حالة الضرورة، فإن السارد سوف يدافع عن القابلية لقول القصة tellability...ويعلق أيضاً على دروسها وأغراضها ورسائلها»³، وعليه فعمل السارد يتخطى عملية الإخبار وتقديم الأحداث فهو الشخص المنظم للخطاب السردى والمسيطر على حركته، ومن ثم فالسارد وجد ليحل محلّ المؤلف الواقعي ويتقمص دوره دون أن يكون هو الكاتب الحقيقي.

وفي إطار مفهوم السارد ينبغي الإشارة إلى التمييز بين السارد (الراوي) والروائي (المؤلف الواقعي)، ذلك أنّه في كثير من الأحيان يُخلط بينهما، «فالروائي هو خالق العالم التخيلي وهو الذي اختار الأحداث والشخصيات والبدايات والنهايات. كما اختار الراوي.

لكنه لا يظهر ظهورا مباشرا في النص القصصي. فالراوي في الحقيقة هو أسلوب صياغة، أو بنية من بنيات القص، شأنه شأن الشخصية والزمان والمكان، وهو أسلوب تقديم المادة القصصية... إذ أن الراوي قناع من الأقنعة العديدة التي يتستر وراءها الروائي لتقديم عمله»⁴، أي أنّ الروائي/المؤلف هو كاتب ومنتج العمل السردي فهو شخص حقيقي موجود على أرض الواقع، في حين أن السارد/الراوي كائن ورفي وعنصر من عناصر البنية السردية، وهو الوجه المستعار الذي يتوارى خلفه المؤلف الواقعي ليفصح عن رؤيته الفكرية والابداعية، ومن خلاله يبني ويسير عالمه التخيلي.

3. أنواع السارد

توجد أنواع عديدة من الساردين، تختلف بحسب نوع التصنيف الذي يعتمد عليه الناقد، فيمكن تصنيف الساردين حسب مدى معرفتهم بالأحداث والمعلومات، أو بحسب مدى قربهم وبعدهم عن الأحداث، أو حسب الظهور والتخفي على مستوى الخطاب السردية، ومن أنواع الساردين:

- السارد العليم: وهو «القوة الخارقة التي تُكشف أمامها الحجب»⁵، أي له مطلق المعرفة بما يجري في العالم المتخيل، فهو عليم بكل الأحداث والوقائع في مختلف أزمنتها، وله القدرة على معرفة كل شيء عن الشخصيات حتى ما يجول في أعماقها من أفكار ومشاعر.

- السارد متساوي المعرفة/العالم جزئيا: «هو الذي لا يتجاوز حدود الشخصيات في الرؤية، فإذا فعلت الشخصية فعلا، أو اتصفت بصفة، فإن الراوي يُقدم فعلها أو صفتها»⁶، هذا النوع من الساردين لا تقل معرفته ولا تتعدى معرفة الشخصية الروائية، حيث ينقل أفعال وصفات الشخصية دون تفسيرها، وقد يكون شخصية تشارك في الأحداث أو مجرد شاهد.

- السارد أقل معرفة من الشخصية: وهذا السارد لا يعرف «إلا القليل ممّا تعرفه إحدى الشخصيات الحكائية، والراوي هنا يعتمد كثيرا على الوصف الخارجي، أي وصف الحركة والأصوات، ولا يعرف إطلاقا ما يدور بخلد الأبطال»⁷، إذا الشخصية تعرف أكثر من السارد، فهو لا يدرك تفاصيل الأحداث إلا ما يراه، ولا يدري أي شيء عن الأفكار والانفعالات الداخلية للشخصية.

أما من حيث بعد السارد وقربه من الأحداث التي يروها (القصة)، نجد نوعين من الساردين، حددهما "جيرار جنيت" Gérard Genette في: سارد مثلي القصة وسارد غيري

القصة، فالأول يتواجد بكونه شخصية في القصة التي يسردها والثاني يغيب عنها⁸، أي قد يكون السارد مشاركاً في أحداث القصة التي يسردها كشخصية من شخصياتها، وبذلك يكون قريباً مما يسرده، أو يكون سارداً فقط، وليس طرفاً مشاركاً في أحداثها وبالتالي بعيداً عنها، فيسرد أحداث القصة من الخارج، وهكذا يكون الأول داخل القصة والثاني خارجها. ويوجد نوعين من الساردين من حيث الظهور والتخفي على مستوى الخطاب

السردي، وهما:

- السارد الظاهر: «هو الذي يشير إلى نفسه/نفسها بضمير الشخص الأول (أنا، نحن،... إلخ) والذي يخاطب المتلقي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة... أو أنه الذي يتطفل على القصة من أجل أن يمرر تعليقاته الفلسفية أو لغته السردية الشارحة وباختصار أنه السارد ذو الصوت المتميز»⁹، إذاً هو سارد مكشوف يتواجد بشكل بارز في الخطاب السردي سواء كان شخصية مشاركة في الأحداث أو لم يكن، ويظهر ذلك من خلال تدخلاته وتعليقاته على الأحداث، والأحكام التي يطلقها، وأراؤه التي يفصح عنها.

- السارد المتواري: وهو سارد مستتر غير ظاهر، «لا سيما أنه لا يشير إلى نفسه أو نفسها، ولا يخاطب أي مسرود لهم، وهو الذي له صوت ونمط محايد غير مميز، وغير محدد جنسياً، ولا يظهر قلماً إلهامياً مهما كانت الظروف، ولا يعطينا شرحاً أو توضيحاً حتى لو كنا بحاجة ماسة إليه، إنه شخص لا يتطفل ولا يتدخل، ويترك أحداث القصة تنساب حسب تسلسلها الطبيعي وسرعتها (يدع القصة تحكي نفسها)»¹⁰، فهو سارد مجهول، يبتعد عن الظهور، ويعطي إحساساً بأنه غير موجود، حيث يدع الشخصيات تفعل، وتقول ما تشاء، وينقل الأحداث دون تفسيرها أو الحكم عليها.

- تعدد الساردين/الرواة: قد يكون السرد عبر عدد من الساردين يتناوبون على سرد الوقائع والأحداث، حيث يروي كل منهم قصته الخاصة، أو أن كل منهم يسرد القصة نفسها من وجهة نظر مختلفة عن غيره، وهو ما يعرف بالحكي داخل الحكي¹¹.

4. دور السارد في بناء الخطاب السردي

من المعروف أن وجود السارد في العمل السردي أمر ضروري وحتمي، لأنه جوهر العملية السردية، فهو «يملك قدرة أن يقدم الشخصيات وسماتها وملامحها الفكرية وعلاقاتها وتناقضاتها. كما أن من مهامه تقديم الوقائع المتعاقبة أو المتداخلة أو المتوازية

التي تؤلف كيان الحدث في الرواية، ويقوم فضلا عن هذا بتقديم الخلفية الزمانية والمكانية للشخصيات والأحداث، ويسبك جميع هذه العناصر، ويقدمها إلى القارئ»¹²، فالسارد يضطلع بدور مهم في العمل السردى يُخضع فيه أصول البنية السردية إلى سلطته، حيث يُشكّل الخطاب السردى وفق رؤيته واختياراته، ويمكن استجلاء مظاهر تأثير السارد على بنية الخطاب السردى من خلال إبراز علاقاته بالرؤية السردية، السرد، اللغة السردية، الشخصيات، والزمن.

1.4 علاقة السارد بالرؤية السردية:

تعد الرؤية السردية جزءا مهما من تكوين البنية السردية، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالسارد، وتعني الرؤية السردية «الطريقة التي ينظر بها الراوي إلى الأحداث عند تقديمها، أو هي (وجهة نظره). ومن هنا تلامز هذين المصطلحين، وتداخلهما: فلا راو دون رؤية ولا رؤية دون راو»¹³، فالرؤية السردية آلية يعتمدها السارد في تقديمه ونقله لأحداث الحكاية، ذلك أنّ «المادة القصصية التي تُقدّم في العمل الروائي لا تُقدّم مجردة، أو في صورة موضوعية تقريرية، وإنما تخضع لتنظيم خاص منبثق من المنظور الذي تُرى من خلاله... فهي تقدم من خلال نفس مدركة ترى الأشياء وتستقبلها بطريقة ذاتية تتشكل بمنطلق رؤيتها الخاصة وزاويتها»¹⁴، هذا يعني أن السارد هو المسؤول عن ضبط وتنظيم المحتوى السردى، أي المسؤول عن تحديد زاوية الرؤية التي تتدفق منها المعلومات السردية وكميتها، فالمواقف والأحداث السردية تمر من موقع ووجهة نظر معينة.

والسارد عندما يعرض المحتوى السردى فهو يقدمه من خلال ثلاث رؤى سردية، ونستحضر هنا تصنيف "جون بويون" Jean Pouillon للرؤية السردية:¹⁵

- الرؤية من الخلف: وهي الرؤية التي تكون فيها معرفة الراوي أكثر من معرفة الشخصيات الروائية.

- الرؤية مع: وهي الرؤية التي تتساوى فيها (أو تتصاحب)، معرفة الراوي بمعرفة الشخصيات الروائية.

- الرؤية من الخارج: وهي الرؤية التي تكون فيها، معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات الروائية.

وجاء "جيرار جنيت" Gérard Genette بتقسيم جديد انطلق فيه من تصنيف سابقه للرؤية، حيث استبدل مصطلحات مثل الرؤية السردية، المنظور، الموقع، وجهة النظر، وزاوية الرؤية بمصطلح التبئير، وحدد ثلاث أنماط للتبئير، وهي: التبئير الصفر وهو يماثل الرؤية من الخلف، والتبئير الداخلي الذي يماثل الرؤية مع، والتبئير الخارجي الذي يماثل الرؤية من الخارج، وقد حدد "جنيت" Genette ثلاثة أنواع من التبئير الداخلي، هي:¹⁶

- التبئير الثابت: عندما تُصطنع وجهة نظر واحدة.

- التبئير المتنوع: عندما تُصطنع منظورات مختلفة على التوالي لتقديم مواقف وأحداث مختلفة.

- التبئير المتعدد: عندما تقدم المواقف والأحداث أكثر من مرة من منظور مختلف.

تتنوع وتتعدد الرؤى السردية بتنوع وتعدد الساردين، حيث تقابل كل رؤية سارد معين، فالرؤية من الخلف تقابل السارد العليم، وترتبط الرؤية مع بالسارد المتساوي المعرفة، أما الرؤية من الخارج، فتتعلق بالسارد أقل معرفة من الشخصية، ذلك أنّ الرؤية السردية تنشأ أساساً من الموقع الذي يختاره السارد ليباشر منه تقديم المعلومات السردية، ففي حالة الرؤية من الخلف، أو ما يُطلق عليه التبئير الصفر يكون السارد في موقع العالم بكل شيء، فمعرفة مطلقة غير محصورة، فهو يعلم بواطن الأمور وظاهرها، حيث يقدم المعلومات السردية من وجهة نظر عالمة وحيادية، أما في حالة الرؤية مع، أو ما يسمى بالتبئير الداخلي فإن المعلومات السردية تقدم من موقع الشخصية (السارد الشخصية) أي وفق رؤيتها وتصورها، وهي رؤية محدودة وذاتية، تكون فيها رؤية السارد مدمجة برؤية الشخصية فهو لا يرى إلا ما تراه الشخصية، وفي هذا النوع من الرؤية أو التبئير الداخلي تتضح العلاقة أكثر بين تعدد الرؤية السردية وتعدد الساردين، ذلك أن كل شخصية/سارد قد يسرد الحدث الواحد من زاوية نظر مختلفة، أو عندما يكون عدداً من الشخصيات/الساردين وكل منهم يسرد قصة مختلفة وبالتالي أحداث مختلفة ومنظورات مختلفة، وفي حالة الرؤية الخارجية أو التبئير الخارجي فإن المعلومات السردية تقدم من موقع ووجهة نظر سارد شاهد لا علاقة له بالأحداث فتكون الرؤية محدودة جداً، حيث لا يتجاوز السارد الوصف الخارجي للأحداث والشخصيات.

2.4 علاقة السارد بالسرد:

يعتمد السارد في تقديمه وضبطه للمحتوى السردى على طريقتين أو صيغتين سرديتين، وهما سرد الأحداث وسرد الأقوال، فالصيغة الأولى تُعنى بـ «نقل لغير اللفظي (أو لما يُفترض أنه غير لفظي) إلى ما هو لفظي»¹⁷، أي خطاب السارد الذي ينقل فيه الأحداث والوقائع، أمّا الصيغة الثانية فهي «حكاية الكلمات أو الألفاظ التي تنطق بها الشخصية»¹⁸، أي خطاب السارد الذي ينقل فيه أقوال الشخصيات، وسرد أقوال الشخصية هو نقيض سرد الأحداث.

- تتعدد الأساليب السردية التي تُنقل بها أقوال وأفكار الشخصية، وتختلف باختلاف درجات تدخل السارد في تقديم المحتوى السردى (أقوال وأفكار)، وهي تتمثل في:
- الأسلوب المباشر: وهو «أحد أنماط الخطاب الذي تُقدّم، أو تُقتبس فيه أقوال الشخصيات وأفكارها بالطريقة التي يفترض نطقهم بها»¹⁹، حيث يمنح فيه السارد الحرية للشخصيات في أن تتحدث بلسانها، وتعبّر عن أفكارها دون تدخل من السارد، ويحتوي هذا الأسلوب على علامات الترقيم وفعل القول أو ما يعوضه من أقوال تمهيدية للسارد.
 - الأسلوب غير المباشر: وهو عبارة عن «خطاب منقول بصيغة الغائب، يأتي بعد فعل القول أو ما في معناه، ولا يكون مسبقاً بعلامة تنصيص»²⁰ والنقطتان، وفيه يتولى السارد سرد أقوال وأفكار الشخصيات ولا يسمح لها بالكلام والتعبير عمّا تريد.
 - الأسلوب الحر المباشر: هذا الأسلوب مثله مثل الأسلوب المباشر تُقدّم فيه ألفاظ وأفكار الشخصية كما نطقت بها، فيكون القارئ أمام مشهد حوارى تقوم به الشخصيات، ولا يقوم فيه السارد بدور بارز حتى التمهيدات أو الافتتاحات السردية وعلامات الترقيم تغيب فيه، حيث «تندفع الشخصيات في الحديث، وكأنها في عرض مسرحي»²¹، ومن ثم فهو خطاب ينعدم فيه كلام السارد.
 - التقرير السردى لأفعال الكلام: وهو من أكثر الأساليب التي يبرز فيها حضور السارد بشكل قوي، ففيه لا ينقل السارد كلام الشخصية وإنما يسرد مضمونه فقط، مع اختفاء أي أثر لكلام الشخصية، لأنّ السارد ينقله «كحدث من أحداث الحكاية»²²، فهو يتعامل مع كلام الشخصية على أنّه فعل.

- الأسلوب الحر غير المباشر: في هذا الأسلوب «يمتزج كلام السارد وكلام الشخصية المتحدثة، بحيث يمكن تبين مظاهر صوتيتين متداخلتين في العبارة السردية الواحدة...هو في حقيقته أسلوب وسط، بين التقرير السردى لأفعال الحديث، والأسلوب الحر المباشر»²³، ذلك أنّ السارد يسرد كلام الشخصية بلسانه مع الحفاظ على بعض الكلمات أو الجمل أو التراكيب التي تحمل سمات كلام الشخصية، ولا توجد فيه علامات الترقيم الدالة على الاقتباس أو نقل كلام وأفكار الشخصية.

إنّ تباين الأساليب السردية في عرض أقوال وأفكار الشخصيات هو ناتج عن مدى، وكيفية تدخل السارد في نقل هذه الأحاديث والأفكار، فنرى من الأساليب ما يتدخل فيه السارد بشكل قوي، حيث يصل خطابه وهيمنته إلى الذروة، وهو ما يظهر مع الأسلوب التقريرى لأفعال الكلام الذي تزول فيه أي بصمة لأقوال الشخصية، ومن الأساليب ما يكون فيه تدخل السارد صفر، وهذا في الأسلوب الحر المباشر حيث يختفي كل أثر للسارد، أما باقي الأساليب كالأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر والأسلوب الحر غير المباشر، فدور السارد وتدخله فيها يكون أقل وينسب متفاوتة، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ السارد هو الذي يدير ويتحكم في أقوال الشخصيات بشكل ظاهر أو خفي، فحتى الأسلوب الحر المباشر الذي تكون فيه الحرية للشخصية في التكلم بلسانها دون أدنى تدخل من السارد فإن هذه الحرية السارد هو من يمنحها إيّاها، عندما يقرّر التخلي عن تقديم أقوالها وأفكارها.

كما نلاحظ أن كل أسلوب من هذه الأساليب يقترن بنوع من أنواع الساردين، إذ يفرض نوع السارد نمط معين من الأساليب السردية، ذلك أن كل نوع من أنواع الساردين له أسلوبه الذي يتميز بخصائص وسمات تختلف عن غيره من الأساليب الأخرى، ومن أمثلة ذلك «الارتباط بين الراوي الظاهر والأسلوبين التقريرى والتصويرى...وما نلاحظه أيضا من ارتباط بين الراوي الخفي والأسلوب الحوارى...فحيثما ظهر الراوي وجدت اللغة التقريرية والوصفية، وحيثما اختفى تعالت أصوات الشخصيات بالحوار»²⁴.

وينبغي الإشارة إلى أن السارد بضمير المتكلم والسارد بضمير الغائب أفرزا نمطين من السرد، حدّدهما "توماشفسكي" Tomashevsky في السرد الموضوعي والسرد الذاتى، «ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال. أما

في نظام السرد الذاتي، فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي (أو طرف مستمع) متوفرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه الراوي (أو المستمع) نفسه»²⁵، هناك إذا أسلوين للسرد الأول يكون فيه السارد خارج القصة فهو يسرد بضمير الغائب، ويتميز بمعرفته المطلقة وحياديته في سرد الأحداث والوقائع، وهو ما يسم السرد بالموضوعية، والثاني يكون فيه السارد داخل القصة أي شخصية من شخصياتها يسرد ما وقع له أو ما شاهده أو سمعه بضمير المتكلم، ومن وجهة نظره مما يضيف على السرد سمة الذاتية.

3.4 علاقة السارد باللغة السردية:

اللغة كالمرآة تعكس ملامح المتحدث بها، وتعطي القارئ صورة كاملة عنه، فهي تجسد خصائص المتحدث بها سواء كانت خصائص فردية تتعلق بالشخص ذاته أو اجتماعية وثقافية تتعلق بالطبقة التي ينتمي إليها، فكما يقول "بوفون" Buffon «إن الأسلوب هو الرجل نفسه»²⁶، أي أن الأسلوب يعبر عن صاحبه، ومن هنا كانت اللغة السردية امتدادا لشخصية السارد، ويبرز ذلك في استخدامه للمعجم اللغوي وصياغة الجمل والعبارات، فكل سارد له قاموس لغوي وأسلوب معين في التعبير والصياغة.

ويتجلى هذا في الروايات التي يكثر فيها الساردين، حيث يظهر الاختلاف في أسلوب ولغة كل واحد منهم، فلغة السرد تتلبس بشخصية السارد، فتصير مرحلة أو حزينة أو مسهبة أو محكمة وجزلة، إن كان هو مرحا أو حزيناً أو ثرثاراً أو جادا، وقد يفضل أحد الساردين استخدام الجمل الفعلية بينما يستخدم آخر الجمل الاسمية، وقد يكون أسلوب أحدهما موجزا والآخر مطنبا، وقد تكون لغة أحدهما تقريرية والآخر تصويرية، وحتى في الروايات التي تكون بضمير المتكلم أو يكون فيها السارد أحد شخصياتها تبرز شخصية السارد وثقافته وطبقته الاجتماعية في أسلوبه، فاللغة التي تروي بها المرأة تختلف عن اللغة التي يسرد بها الرجل، كما يختلف أسلوب الحداد عن أسلوب الطبيب والذي بدوره يختلف من طبيب إلى آخر²⁷، إن شخصية السارد من حيث مستواه الثقافي والاجتماعي والتعليمي لها تأثير كبير وجلي على مستوى اللغة السردية، فالأساليب اللغوية والتراكيب الجمالية كلها اختيارات انتقاها السارد من مجموع البدائل المتاحة، لتعكس خلفيته الثقافية والاجتماعية.

إن السارد عندما يستحضر كلامه أو كلام الشخصيات فهو لا يتوقف عند «مجرد النقل أو الصياغة، بل يتعدى هذا الدور إلى استجماع خصائص اللهجة المحكية، أو سمات الصوت المحكي... واستجماع الخصائص هذا هو الذي يجعل نقل الأحاديث فنا»²⁸، فالسارد يراعي خصائص لهجة طبقة المتكلمين من الناحية الاجتماعية والثقافية والفكرية، فنجد أنه يستخدم كلمات تعبر عن الطبقة التي تنتمي إليها الشخصية، كما يراعي الخصائص التي تتفرد بها الشخصية في لغتها وأسلوبها. فالأسلوب واللغة التي ينقل بها السارد كلام الشخصية تماثل هذه الشخصية من حيث سماتها الصوتية والتركيبية، لأن السارد يحاكي لهجات وأصوات الشخصيات عند نقل كلامها بطريقة فنية.

والمتتبع للغة في الخطابات السردية فإنه يرى أن كل من الأساليب اللغوية وتراكيب الجمل تقترن بنوع محدد من الساردين، فهي تحضر بحضور السارد، وتغيب بغيابه، ومن صور ذلك، السارد «إذا كان محايدا جاءت لغته محايدة تعمل على توصيل المعنى أو الكشف عن الفعل دون أن تبين أية عاطفة من المتحدث، لغة باردة كلغة العلوم، أما الراوي المنقح فلغته ملحمية شعرية تقويمية تنقل الحدث والشعور المصاحب له في وقت واحد، ولذلك فإننا نجد الأولى وصفية معيارية تعتمد على المستوى الأول من اللغة، أما الثانية فمجازية»²⁹، ومع السارد العليم تميل اللغة عادة إلى أن تكون تقريرية، محايدة، وموسوعية تعبر عن عمق معرفته، ومع السارد بضمير المتكلم تنحو اللغة نحو الذاتية، فلغة السرد تنوع بتنوع الساردين وتتشكل بصورهم وتنطبع بخصائصهم الفردية والاجتماعية.

4.4 علاقة السارد بالشخصية:

تمثل الشخصية أحد المكونات المحورية في الخطاب السردى، و«هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجاباً، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءاً من الوصف. الشخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككل عناصر الحكاية، فهي تتكوّن من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها»³⁰، وفي هذا الإطار تحتكم الشخصية على مستوى الخطاب السردى إلى تنظيم يخضع إلى سلطة السارد، فعلاقة السارد بالشخصية وثيقة، وتتجلى في كثير من مظاهر بناء الشخصية الروائية.

يتم تقديم الشخصية على مستوى الخطاب السردى وفق شكلين، وهما تقديم مباشر وتقديم غير مباشر، ومرجعهما أساسا هو قرار السارد؛ فقد يفوض السارد أحقية الكلام للشخصية، حيث «تعرف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط، من خلال جمل تتلفظ بها هي، أو من خلال الوصف الذاتي»³¹، وبالتالي تعرض معلوماتها الذاتية إلى المتلقي من وجهة نظرها هي، وهو ما يسعى بالتقديم المباشر، وقد يختار السارد أن يخمد صوت الشخصية، ويتولى بنفسه تقديم معلوماتها إلى المتلقي، «حيث نخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية، في هذه الحالة يكون السارد وسيطا بين الشخصية والقارئ، أو تكون إحدى شخصيات الرواية وسيطا بين الشخصية والقارئ»³²، وكل ما يقدم من معلومات عن الشخصية في هذا السياق، يكون من وجهة نظر السارد أو من وجهة نظر الشخصية التي تقدمها، وهو التقديم غير المباشر الذي يتطلب فيه أن يكون السارد عليما يحيط بمعرفة شاملة عن الشخصية.

كما أن رسم ملامح الشخصية هو جزء مهم في بناء الخطاب السردى، يؤدي فيه السارد دورا حاسما فهو من يحدد ويختار الصفات والأفعال التي يسندوها إلى الشخصيات، أو ما يظهره ويخفيه من ملامحها، ومن ذلك المعلومات التي تصور مظهرها الخارجي أي «صفات الجسم المختلفة من طول وقصر، وبدانة ونحافة، ويرسم عيوبه وهيئته وسنه وجنسه»³³، وأيضا ما يتعلق بجانبها الاجتماعى «ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية. وفي نوع العمل الذي يقوم به في المجتمع، وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه وجنسيته وهوايته»³⁴، كما يصور الجانب النفسى المرتبط، «بكينونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الانفعالات، العواطف)»³⁵، والسارد قد يفصل ويطنل في وصف بعض جوانب الشخصية أو كلها حتى يعطي للقارئ صورة شاملة وأكثر وضوحا عن الشخصية، أو يوجز في وصف ملامحها عندما يرغب في جعل الشخصية غامضة ومجهولة، فهو من يقرر أي جانب من جوانب الشخصية يجب إبرازه أو حجبها، إذا هو من يتحكم في كمية المعلومات التي تُعطى عن الشخصية وبأي صورة ينبغي إظهارها.

وتظهر بوضوح اختيارات السارد المتعلقة بكيفية تقديم الشخصية وبنائها في تنوع الشخصيات الروائية، التي يختلف بناؤها من شخصية لأخرى، حيث تتفاوت عناية السارد في رسمها بحسب أهميتها ومكانتها في العمل السردي، فالسارد يولي عناية كبيرة بالشخصية الرئيسية التي يتمركز حولها العمل السردي، والتي تؤثر على سير الأحداث، وغالبا ما يصورها على أنها شخصية «معقدة، مركبة، متغيرة، دينامية غامضة، لها القدرة على الإدهاش والإقناع، تقوم بأدوار حاسمة في مجرى الحكي، تستأثر بالاهتمام»³⁶، أما الشخصية الثانوية فهي الطرف المساعد للشخصية الرئيسية، وليس لها أهمية في ذاتها إلا في علاقتها بالشخصية الرئيسية، والسارد دائما ما يقدمها في شكل شخصية «سطحية، أحادية، ثابتة، ساكنة، واضحة، ليست لها جاذبية، تقوم دور تابع عرضي لا يغير مجرى الحكي، لا أهمية لها»³⁷، إذا الشخصية في الخطاب السردي ليست كيانا مستقلا تماما، بل تخضع في تركيبها لمنظور السارد، فهو من يحدد طريقة تقديمها، والصفات التي تنسب إليها، والأفعال التي ترتبط بها.

5.4 علاقة السارد بالزمن:

يجمع الباحثون على أهمية الزمن في السرد، فهو جزء لا يتجزأ من بنية الخطاب السردي، والزمن كما تعرفه "سيزا قاسم" «هو القصة وهي تتشكل، وهو الايقاع»³⁸، يوجد نمطين من الزمن حدّدتهما السردية البنيوية أو كما ذهب إليه "جيرار جنيت" Gérard Genette؛ هما زمن القصة وزمن الخطاب: «الزمن الأول هو زمن الأحداث كما وقعت بالفعل (زمن الحكاية)، والزمن الثاني هو زمن يخضع لانتظامات الخطاب أو القصة»³⁹، أي الزمن الذي يتم فيه سرد أحداث القصة، فزمن القصة طبيعي منطقي أما زمن الخطاب يتأرجح بين أن يكون منطقي أو متذبذب بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وتظهر هيمنة السارد على حركة الزمن في الخطاب السردي، في كونه يستطيع أن يسرد الأحداث ويقدمها إلى القارئ بطرق مختلفة، فقد يعتمد السارد الترتيب الكرونولوجي الذي يسرد فيه الأحداث بطريقة متسلسلة حسب تعاقبها في الزمن، أي من الماضي إلى الحاضر، أو يسردها وفق زمن متقطع لا يلتزم فيه بسرد الأحداث حسب تتابعها الحقيقي بل ينتقل بين الأزمنة المختلفة، «حيث يتداخل الحاضر مع الماضي، والحاضر مع المستقبل»⁴⁰، وهو في ذلك يستخدم تقنيات كالاسترجاع الذي هو «مفارقة زمنية باتجاه

الماضي انطلاقاً من لحظة الحاضر»⁴¹، حيث ينطلق السارد من الحاضر نحو الماضي لاستحضار أحداث ماضية سابقة للزمن الآني، وأيضاً الاستباق الذي هو «حكي شيء قبل وقوعه»⁴²، أي أن السارد ينقل للقارئ بعض الأحداث والمعلومات التي ستحدث في المستقبل.

لا يتحكم السارد في خط سير الزمن فقط، بل له دور كبير في التأثير على الإيقاع الزمني للسرد، من خلال تسريعه أو تبطيئه، ففي الوضعية الأولى يعتمد السارد إلى استخدام تقنيات سردية تساهم في تسريع السرد، وهما المجمل والحذف؛ والمجمل هو «السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال»⁴³، يقوم فيه السارد باختزال فترات وأزمنة من حياة الشخصيات في جمل وفقرات فيقدم الأحداث والوقائع بشكل مقتضب، لأن السارد يركز على الأحداث المهمة ولا يرى ضرورة في التطرق إلى تفاصيلها، أما الحذف فهو «أقصى سرعة ممكنة يركبها السرد، وتتمثل في تخطيه للحظات حكاية بأكملها دون الإشارة لما حدث فيها، كأنها ليست جزءاً من المتن الحكائي»⁴⁴، لأنه يعتبرها غير مهمة، ولا تؤثر على مجرى السرد.

وقد يعتمد السارد إلى تبطئة السرد فيقوم في هذه الحالة باستخدام تقنيتين تعملان عكس التقنيتين السابقتين، وهما المشهد والوقفة؛ والوقفة تعمل «على الإبطاء المفرط في عرض الأحداث، لدرجة يبدو معها وكأن السرد قد توقف عن التنامي، مفسحاً المجال أمام السارد لتقديم الكثير من التفاصيل الجزئية على مدى صفحات وصفحات»⁴⁵، من خلال الوصف الذي قد يطول أو يقصر، وهو في كلا الحالتين يقطع سرد الأحداث لفترة زمنية محددة قبل العودة إلى نقطة السرد التي توقف فيها، أما المشهد فـ «هو أسلوب العرض الذي تلجأ إليه الرواية حين تقدم الشخصيات في حال حوار مباشر»⁴⁶، وفيه يدع السارد الكلام للشخصيات حيث يحضر الحوار والوصف وتُعرض الأحداث على نحو تفصيلي دون تلخيصها مما يمنح القارئ شعوراً بمعايشتها، وذلك يساهم بشكل كبير في تعطيل السرد. وهكذا يكون زمن السرد لعبة بين يدي السارد فيحافظ على تسلسله أو يكسر خطيته، ويسرعه أو يبطئه كيفما شاء أو كما تطلب السرد ذلك.

5. خاتمة:

وبناء على ما سبق يمكن القول إن:

السارد عنصر جوهري في بناء العمل السردي، فهو من يتحكم في حركة الخطاب السردي، ويشكل حلقة الوصل بين القارئ والعالم المتخيل، فمن خلاله تُبنى الرؤية التي تُنقل بها المادة السردية، وتتحدد كمية المعلومات التي تُمنح إلى المتلقي، وتتعيّن الزاوية التي ينظر منها المتلقي إلى العالم السردي، كما يرتبط تنوع الأساليب السردية بتنوع السارد ودرجة تدخله في السرد، ولشخصية السارد تأثير بالغ على مستوى اللغة التي تحمل بصمته وتنعكس خلفيته الاجتماعية والثقافية، ومن خلال السارد أيضا تتحدد كيفية تقديم الشخصيات الروائية وبناء صورتها فهو من يختار ما يبرزه وما يخفيه من جوانبها، وهو من يتحكم في تقنيات البناء الزمني للأحداث السردية فيحدد خط ووتيرة سير الأحداث، ومن هنا كان السارد هو المحرك للعبة السردية، ودراسته وفهم كيفية اشتغاله أساس مهم لتحليل الخطاب السردي وعامل ضروري في فهم بنيته بشكل أعمق.

6. مراجع البحث وإحالاته :

- ¹ - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2010، ص 195.
- ² - عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناس والروى والدلالة، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط 1، 1990، ص 117.
- ³ - يان مانفريد، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 2011م، ص 70.
- ⁴ - سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، د ط، 2004، ص 184.
- ⁵ - محمد عزّام، شعرية الخطاب السردى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005، ص 90.
- ⁶ - المرجع نفسه، ص 90.
- ⁷ - حميد لحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى، المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991، ص 48.
- ⁸ - ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدى، عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 2، 1997، ص 255.

- ⁹ - يان مانفريد، علم السرد، ص 72.
- ¹⁰ - يان مانفريد، علم السرد، ص 72.
- ¹¹ - ينظر: حميد لحمداني، بنية النص السردى، ص 49.
- ¹² - عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى، ص 117.
- ¹³ - محمد عزّام، شعرية الخطاب السردى، ص 93-94.
- ¹⁴ - سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 181.
- ¹⁵ - أمانة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2015، ص 47-48.
- ¹⁶ - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط 1، 2003، ص 96.
- ¹⁷ - جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص 181.
- ¹⁸ - السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998م، ص 136.
- ¹⁹ - جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص 47.
- ²⁰ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2002، ص 89.
- ²¹ - عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة الرجل الذي فقد ظله نموذجاً، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006، ص 203.
- ²² - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 91.
- ²³ - عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 208.
- ²⁴ - عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006، ص 164.
- ²⁵ - توماشفسكي، نظرية الأغراض، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط 1، 1982، ص 189.
- ²⁶ - Buffon. Discours sur le Style : Librairie Haiter, paris 1920, p. 17. نقلاً عن: عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2013م، ص 21.
- ²⁷ - ينظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص 161-162.
- ²⁸ - عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص 193.
- ²⁹ - عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص 167.
- ³⁰ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 113-114.
- ³¹ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، ص 44.

- 32 - المرجع نفسه، ص 44.
- 33 - عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط 4، 2008، ص 133.
- 34 - المرجع نفسه، ص 133.
- 35 - محمد بوعزة، تحليل النص السردية وتقنيات ومفاهيم، ص 40.
- 36 - محمد بوعزة، تحليل النص السردية وتقنيات ومفاهيم، ص 58.
- 37 - المرجع نفسه، ص 58.
- 38 - سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 38.
- 39 - عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011، ص 97.
- 40 - ممدوح فراج النابي، رواية السيرة الذاتية في مصر دراسة في التأصل والتشكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 1، 2011، ص 442.
- 41 - جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص 16.
- 42 - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبيين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 1997، ص 77.
- 43 - جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص 109.
- 44 - عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردية، مجلة فصول، مجلد 12، ع 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص 138.
- 45 - المرجع نفسه، ص 140.
- 46 - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 154.
- 7. قائمة مراجع البحث وإحالاته:**
1. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2015.
2. توماشفسكي، نظرية الأغراض، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط 1، 1982.
3. جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 2، 1997.
4. جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط 1، 2003.
5. حميد لحمداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991.

6. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبثير، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 1997.
7. السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998م.
8. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، د ط، 2004.
9. عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006.
10. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة الرجل الذي فقد ظله نموذجاً، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006.
11. عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، مجلد 12، ع 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.
12. عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط 4، 2008.
13. عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990.
14. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2013م.
15. عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011.
16. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2002.
17. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2010.
18. محمد عزّام، شعرية الخطاب السردى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005.
19. ممدوح فراج النابى، رواية السيرة الذاتية في مصر دراسة في التأصل والتشكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 1، 2011.
20. يان مانفريد، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 2011م.